في إرشاد الأريب
إلى معرفة الاديب
للأستاذ محمد إسعاف النشاشيبي
— ٧ —

* ج ١٠ ص ٢٣٧ : وعن النضر بن شُمَيِّل قال : دخلت على أمير المؤمنين المأمون بمرو فقال : أنشدني أقنع بيت للعرب ، فأنشدته قول الحكم بن عبدل :

إني امرؤ لم أزل وذاك من الله (م) أديباً أُعَلَّمُ الأُدبا
لا أحتوي خُلَّةَ الصديق ولا أتبع نفسي شيئاً إذا ذهبا

وجاء في الشرح : (أديباً) في الأغاني قديماً (لا أحتوي) من الاحتواء وهو كونها له وتحت أمره (خلة الخ) يريد زوجة صديقه .

قلت : شميل جاءت بكسر الياء وتشديدها وهي — كما قال ابن خلكان — : بضم الشين المعجمة وسكون الياء المثناة من تحتها وبعدها لام ...

(قديماً) كما روى الأغاني خير من (أديبا)
(أعلّم الأدبا) هي أعلّم الأدبا)

وهو يعني أدب النفس ، ومن هذا الأدب ومن القناعة ألاّ يقول : أعلّم الأُدباء .

(لا أحتوي) هي (لا أجتوي) أي لا أكره وأمل . و (الخلة) هنا هي الصداقة لا زوجة صديقه . والخلة بالكسر : المصادقة والمودة والأخاء . والبيتان تليهما في الكتاب أبيات .

* ج ١٢ ص ٢٧٧ : وله (علي بن ثَرْوان الكندي) :

هتك الدمع بصوب الهتن كلّ ما أضمرت من سر خفيّ
يا أخلائي على الخليف ، أما تتقون الله في حشّ المطيّ !

قلت : لا تشدد الياء في (خفي والمطي) حتى لا يختل الوزن :

وإنما هي مسألة الفارق السرمدي بين المعيشة اليومية وبين الحياة الانسانية الباقية على اختلاف الأمم وتعاقب العصور .

فكل ما هو من باب القيم الانسانية الباقية فلا مناص له من تعبير خاص غير تعبير السوق والبيت وكلمات التسلية والاستلقاء ، ولو أجبرنا الناس جميعاً في هذه الساعة على الكلام بالعامية دون غيرها لما استطاعوا أن يتجنبوا اللغة الخاصة .

والمصطلحات الخاصة والتراكيب الخاصة سنة واحدة حين يكتبون في الطب أو الرياضة العليا أو الكيمياء أو القانون ، ولكان عسيراً عليهم أشد العسر أن يكتبوا بالعامية مذهباً كمذهب كانت أو مذهب لبروزو أو قصيدة كقصائد المتنبي وبيرون وشكسبير .

فإذا كانت اللغة الخاصة لازمة للمتعلم على كل حال لاستيفاء علم الطب أو علوم الرياضة أو علوم القانون فلماذا تحرم عليه لاستيفاء علوم الأدب والقدرة على التعبير الذي لا يتجاوز حدود اليوم ويصاحب الأمم الانسانية عدة أجيال؟ ومن قال إن الانسان يستخدم لغة واحدة حين يساوم على بطيخة أو حين يغسل القدور ويخرط الملوخية ، وحين يتكلم عن غبطة النفس بالربيع وسمو الأمل بالحب ونبل الفداء في سبيل المثل العليا ؟

ما هذا الولع بالتسفل وهذا الإنكار لكل ارتفاع ؟ ما هذا التمرغ في كل وضيع وهذا الجرد الذي لا يطاق على كل شريف رفيع ؟

فاللغات الفصحى لم تحفظ حتى اليوم لأن الأغنياء وأصحاب رؤوس الأموال يتكلمونها في البيت والسوق ، ولم تحفظ حتى اليوم لأنها مزية طبقة من الطبقات الاجتماعية أو مزية الأغنياء القادرين على التعليم ، فإن أغنى الأغنياء كثيراً ما كانوا من أضعف المعبرين ، وأفصح الفصحاء كثيراً ما كانوا من الفقراء والمعدمين . وإنما اختلفت اللهجتان على مدى الزمن بضرورة الاختلاف بين حياة البيت والسوق وحياة المعرفة والتهذيب التي تتجاوز حاجة اليوم إلى حاجة الأجيال .

وليس إلا الحقد على كل شريف رفيع يسول للببغاوات أن يحاربوا اللغة الفصحى باسم الشعبية والشعبية منهم براء .

والمرجع بعد إلى الذوق والشعور وخصب الخيال ، وهي ملكات حرمتها الشيوعية وذووها من كارل ماركس إلى أذنابه الذين لا يفقهون ما يقول ، ولو فقهوه لما عظم شأنهم بين شئون النفوس والعقول .

عباس محمود العقاد

و (بصوب الهتن) هما (بصوبِ هِتِنٍ) وهتن بكسر التاء . وهذه اللفظة (هتن) لم تجىء فى شعر قديم وصل إلينا ، ولم يذكرها معجم نعرفه . وقد استعملها المتنبي فى هذا البيت فى إحدى قصائده :

العارض الهتن ابن العارض الهتن ابن(م)

العارض الهتن ابن العارض الهتن

جاء فى (ديوان أبى الطيب المتنبي) النسخة التى صححها وجمع تعليقاتها (الدكتور عبد الوهاب عزام) وطبعتها (لجنة الترجمة والتأليف والنشر[1]) .

قال ابن القطاع : هذا البيت الذى أفسد المتنبي فيه اللغة ، وغلط فيه ، وكرر غلطته أربع مرات ؛ وذلك أن العلماء مجمعون على أن يقال : هتن المطر والدمع يهتن هتناً وهتوناً ، واسم الفاعل منه هاتن ، وكذلك يقال : هتل المطر والدمع يهتل هتلاً وهتولاً باللام ، واسم الفاعل هاتل . ولم يقل أحد من العلماء ولا جاء عن أحد من العرب : هِتِنَ يهتَن على فعِل يفعَل فيكون اسم الفاعل منه هتِن على فعِل . ولم يذكره أحد من جميع الرواة ولا اهتدى إليه إلى هذه الغاية حتى نبهت عليه .

جاء فى (نزهة الألباء فى طبقات الأدباء) للأنبارى :

لما أنشد (المتنبي) سيف الدولة قوله فى مطلع بعض قصائده : (وفاؤكما كالربع أشجاه طاسمه) كان هناك ابن خالويه فقال : يا أبا الطيب إنما يقال : شجاه — توهمه فعلاً ماضياً — فقال أبو الطيب : اسكت ، فما وصل الأمر إليك قصد أبو الطيب أشجاه أكثره شجى لا الفعل الماضى ...

قلت : فهل يقول أبو الطيب لابن القطاع — وقد أسمعه ما أسمعه — : اسكت ، فما وصل الأمر إليك ، قد سمعتها من الأعراب ، أو وجدتها فى شعر الأعشى أو قلتها ولى — وقد « بلغت فى علم اللغة المبالغ » — أن أقولها . وهل نتقبل نحن (الهتن) — وهذه قصتها — فى هذا الزمن بقبول حسن ... ؟

* ج ٨ ص ١٢٩ — : قال العماد (الأصفهانى) : أقام ملك النحاة (الحسن بن صافى) فى رعاية نور الدين محمود بن زنكى ، وكان مطبوعاً متناسب الأحوال والأفعال ، يحكم على أهل التميز بحكم ملك فيُقيل ولا يُستقال ، وكان يقول : هل سيبويه إلا من رعيتى وحاشيتى[1] ، ولو عاش ابن جنى لم يسمه إلا حمل غاشيتى .

وجاء فى الشرح : وكانت (يستقال) فى الأصل (ولايستقل) وفى البغية : يستقال .

غاشيتى : المراد بالغاشية أنه يكون من أتباعه وخدمه .

قلت : (فيقيل ولا يستقال) هما (فيَقتال ولا يُقتال) أى يحكم على غيره ولا يحكم غيره عليه . فى اللسان والتاج : اقتال عليهم احتكم . قال أبو عبيد : سمعت الهيثم بن عدى يقول : سمعت عبدَ العزيز بن عمر بن عبد العزيز يقول فى رقية النملة : العروس تحتفل ، وتقتال وتكتحل ، وكل شىء تفتعل ، غير ألاَّ تعصى الرجل . قال : تقتال : تحتكم على زوجها .

و (الناشية) هنا غاشية السرج وهى غطاؤه .

* ج ١٦ ص ١١ :

أبيت الليـــل مرتقباً كئيباً لهمّ فى الضلوع ، له أوار

وجاء فى الشرح : كانت هذه الكلمة (مرتقباً) فى الأصل (مرتفقاً) .

قلت : الأصل صحيح . فى الأساس : وبت مرتفقاً متكئاً على مرفق ، وفى اللسان : وبات مرتفقاً أى متكئاً على مرفق يده ، وأنشد ابن برى لأعشى باهلة :

(م) « طبعة تعتمد على أقدم النسخ وأصحها ، وتمتاز بزيادات فى الشعر ومقدمات للقصائد طويلة كتبها المتنبي وتعليقات عظيمة للشاعر نفسه »

(١) قلت : (وحاشيتى) من (جبة الوعاة) وعندى أنها كانت فى الأصل ، وفى هذا الكتاب : وكان يغضب على من لم يسمه بملك النحاة . وفى (إرشاد الأريب) : كان يستخف بالعلماء فكان إذا ذكر واحد منهم يقول : كلب من الكلاب . فقال رجل يوماً : فلست إذن ملك النحاة ، إنما أنت ملك الكلاب ... فاستشاط غضباً ، وقال : أخرجوا عنى هذا الفضولى .

فبت مرتفقاً والعين ساهرة كأن نوى عليّ الليلَ محجور[1]

وفى (الكامل) و (جمهرة أشعار العرب) لأعشى باهلة هذا فى قصيدته التى يرثى بها المنتشر :

فبت مرتفقاً للنجم أرقبه حيران ذا حذر لو ينفع الحذر

وروى ياقوت لابن بكير المحاربى :

فبت مرتفقاً أرعى النجوم إلى أن جاوب الديك فينا سحرة ديكا

* ج ١٧ ص ٣٢ : حبس عيسى بن سليمان الهاشمى كيسان . وكان أبو عبيدة يعبث به كثيراً ، فشفع فيه أبو عبيدة إلى الأمير ، فأمر بإخراجه . فقال للجلاوزة : من أخرجنى ؟ قالوا : تكلم فيك شيخ مخضوب . فقال : أمه ... إن برّح من الحبس ، إحْبيس ظلم ، وطليق ذل ، لا يكون هذا أبداً .

وجاء فى الشرح : إحبيس بمعنى محبوس .

قلت : (برح) غير مضعف ، وليس هناك برح بالتشديد ، وفى مستدرك التاج : تَبرّح كبرح وأبرحه هو ، قال مليح الهذلى :

مَكَثْنَ على حاجاتهن وقدمضى شباب الضحى والعيش ماتتبرح

و (إحبيس ظلم الخ) هى أحبيس ظلم وطليق ذل ؟ ! وليس فى العربية إحبيس .

* ج ١٧ ص ٢١٧ : وله (لمحمد بن أحمد بن سهل المعروف بابن بُشران) :

لا تغترر بهوى الملاح فربما ظهرت خلائقُ للملاح قباحُ

وكذا السيوف يَرُوقُ حسنُ صِقالها وبحدها تُتَخطَّف الأرواح

قلت : وكذا السيوف يروقُ حسنُ صقالها .

* ج ١٥ ص ٢٦٧ : وكان عَلْقمةُ[2] والياً على حُوران .

قلت : وردت حوران بالضم وهى بالفتح كما ضبط ياقوت فى (معجم البلدان) .

* ج ١٥ ص ١٠١ : قرأت بخط أبى سعد : سمعت على بن نصر النيسابورى مذاكرة بمرو يقول : كنت ببغداد فرأيت أهلها تستحسن هذه الأبيات التى لأبى اسماعيل المنشئ :

ذكرتكم عند الزلال على الظما فلم أنتفع من برده بِبَلالِ[1]

فأنشدت قصيدة فى نقيب النقباء أبى القاسم على بن طرّاد الزينبى على هذا الروى ، أولها :

خليلىّ ، زُمت للرحيل حمالى فقدضاق فى أرض العراق مجالى

وَقُوداً عتاقاً كالأهلة ، إنما ديار الندى والمكرمات حوالى[2]

وما أوجبت بغداد حتى وغادرت بلابل بعد الظاعنين ببالى

وجاء فى الشرح : قوداً جمع قوداء : النوق وفى البيت قصر ، يقول فيه : إن ديار الندى والكرم حوالى بغداد لا فيها :

قلت (خليلىّ ، زُمّا للرحيل حمالى) و (قودا) أمر لصاحبيه : قاد ، يقود ، قد ، قوداً . و (حوالى) هى (خوالى) بالخاء لا بالحاء .

* ج ١٧ ص ٢٤٤ : سئل الأديب الأبيوردى عن أحاديث الصفات ، فقال : نُقِرّ ونُمِرّ .

وجاء فى الشرح : نقر ونمر أى نعترف به ونجيزه .

قلت : نقر ونَمُرّ : نسكت ولا نخوض فى صفات الله (عز وجل) مع الخائضين ، لا نجىء ممثلين نافين ولا مشبهين بجسمين ، نقر ونمر ...

(١) قلت : جاء (الليل) فى طبعة اللسان بكسر اللام مجروراً بما قبله .

(٢) هو علقمة بن علاثة ، وكان مديد عامر بن الطفيل . وهو الذى دعا عامراً إلى تلك الغارة المشهورة ، وقد سردت قصتها فى إحدى مقالاتى (حكاية الوفد الكسروى) الرسالة ٥٤٠

(١) ما فى سقائه بلال وهو ما يبل به (الأساس)

(٢) عتاق الخيل والطير : كرائمها (الأساس) .

من يوميات محام

يوميات حقيقية مختارة من مذكرات

عبده حسن الزيات

محام

الجزء الأول ٤٥ قرشاً صاغا